القسم الأول :

« الإيمان وأركانه »

« الحمد لله رب العالمين » .

قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الورّاق الطحاوي بمصر ـ رحمه الله ـ :

هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وما يعتقدون من أصول الدين ، ويدينون به رب العالمين .

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله :

obeikandl.com

obeikandl.com

الإيمان وأركانه

تعريف الإيمان :

* والإيمان هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان[1] .

أركان الإيمان : الإيمان

* هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى[2] .

---

(١) قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى :

« اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً : فذهب مالكٌ والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه ، وسائر أهل الحديث ، وأهل المدينة رحمهم الله ، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه ـ أي الإيمان ـ :

تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان

وذهب كثير من أصحابنا إلى ماذكره الطحاوي : أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان » ا . هـ عن شرحه للطحاوية ٢/ ٤٥٩ .

ومثل هذا الكلام نقله الإمام أبو المعين النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه تبصرة الأدلة (٢/ ٧٩٨) ، وانظر تعليق فضيلة الشيخ شعيب والأستاذ إبراهيم باجس على جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ١١٤ ، فهو تعليق نفيس ، جزاهما الله خيراً .

(٢) نصوص في ذكر أركان الإيمان :

. . . . . .

من القرآن :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

من السنة :

ـ عن أبي هريرة قال : كان النَّبي ﷺ يوماً بارزاً ، فأتاه رجل ، فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتابه ، وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث الآخر . البخاري (٥٠) ، مسلم (٩) ، أبو داود (٤٦٩٨) ، والنسائي (٨/ ١٠١) .

ـ وفي حديث جبريل قوله ﷺ عن الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم (٨) ، وابن حبان (١٦٨) ، وأبو داود (٤٦٩٥) ، والترمذي (٢٦١٠) وغيرهم .

واعلم ـ أُخيَّ ـ أن معنى التوحيد يتسامى عن كونه مجرد قضية عقلية تستحضر هذه المعادلة (الأركان) ، وإنما هو إلى جانب القناعة العقلية ، تربية وجدانية تضرب جذورها في القلوب وتعطي ثمارها في السلوك صدق معاملة وطيب أخلاق فالدين المعاملة .

obeikandl.com

أركان الإيمان مفصلة

obeikandl.com

obeikandl.com

الأصل الأول

« الإيمان بالله جلَّ جلاله »

أولاً : « قواعد وتحذيرات : »

* ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر ، فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار انزجر ، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر .

* ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه ، ذلَّ ولم يصب التنزيه ، فإن ربنا جلَّ وعلا موصوف بصفات الوحدانية ، منعوت بنعوت الفردانية ، ليس في معناه أحد من البرية[١] ، تعالى الله عن الحدود والغايات[٢] والأركان والأعضاء والأدوات[٣] لا تحويه الجهات

---

(١) المعنى : أي من لم يتحفظ ويحترز عن نفي ما لا يُدْرَكُ من صفات الذات العلية ، أو شبَّه صفات الله بوهمه بصفة من صفات البرية ، زلَّ عما يبتغيه وضلَّ ، فإن الله جلَّ وعلا لا يشبهه ولا يماثله الخلق شرح الغنيمي للطحاوية بتصرف ص ٧٢ـ٧٣ .

(٢) الحدود والغايات الأبعاد المحدودة والنهايات ، تعالى الله وتنزه عن هذه الصفات .

(٣) الأركان والأعضاء والأدوات كلَّها بمعنى واحد وهو الجارحة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . =

الست[1] كسائر المبتدعات[2] .

ثانياً : ما يجب اعتقاده في الله عزَّ وجلَّ :

* إن الله تعالى واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولا شيء يُعجزه ، ولا إله غيره ، قديم[3] بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، لا يفنى

= قال الإمام الغنيمي ـ رحمه الله ـ :

وأما ما ورد من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، من وصفه تعالى بما يوهم ظاهره ذلك كاليد والأصبع والقدم ، وكذا النفس فالواجب إجراؤه على ظاهره ، وتفويض علمه إلى قائله مع تنزيه الباري عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثة . قال الإمام فخر الإسلام البرذوي في أصوله : إثبات اليد والوجه عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه ، ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف ، وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه ، أما الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، فقد أجرى ما ورد من الصفات على ظاهر التنزيل من غير تأويل ، مع التنزيه عما لا يليق بذات الجليل ، وقد توسط ابن دقيق العيد فقال : نقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أُوِّل به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب ، ونتوقف فيه إذا كان بعيداً ، وجرى على التوسط ابن الهمام بين أن تدعو الحاجة لخلل في فهم العوام ، وأن لا تدعو الحاجة لذلك المرام بحسب اختلاف المقام عن شرحه للطحاوية ص ٧٤ باختصار وحذف وتصرف .

للتوسع انظر : ـ حاشية ابن عابدين ١/ ٥ .

ـ استحالة المعية بالذات للشنقيطي ص ٦٧ وما بعدها .

ـ شرح الطحاوية للشيباني ص ٤٣ وما بعدها .

ـ مبادىء العقيدة الإسلامية د. مصطفى الخن ص ١٣١ .

(١) إذ كان قبل خلقها وهو الآن على ما عليه كان بخلاف غيره ، قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الأربعين في أصول الدين : تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان ا . هـ ص ٨ .

(٢) المخلوقات .

(٣) أي لا أول له .

ولا يبيد[1] ، ولا يكون إلا ما يريد ، لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام[2] ، ولا تشبهه الأنام ، حي لا يموت ، قيوم[3] لا ينام ، خالق بلا حاجة[4] ، رازق لهم بلا مؤنة[5] ، مميت بلا مخافة[6] ، باعث بلا مشقة[7] ، مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، ولم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لايزال عليها أبدياً .

* والعرش[8] والكرسي حق[9] ، وهو عزَّ وجلَّ مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وبما فوقه[10] ، وقد أعجز عن

---

(١) أي لا يزول ولا ينقطع بقاؤه .

(٢) ورد في المعجم الوسيط مادة الوهم : ما يقع في الذهن من الخاطر ، جمع أوهام ، والفهم : حسن تصور المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط ، جمع أفهام وفهوم ، ومعنى كلام الطحاوي ـ رحمه الله ـ : كل ما تخيل في الوهم أو تصور في الفهم فالله بخلافه ، إذ لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام .

(٣) الحي القيوم : قيل هو اسم الله الأعظم ، والقيوم : صيغة مبالغة تعني القائم بنفسه والمقيم لغيره بالتدبير والحفظ .
انظر أصول الدين للبغدادي ص ٧٢ ، شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٩١) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٧١) آية الكرسي .

(٤) أي خلق الخلق لا لاحتياجه إليهم بل كل ما في الكون فقير إلى الله يستمد منه بقاءه ، محتاج إليه .

(٥) أي رازق للعباد فضلاً منه ، بلا تحمل كلفة تثقله .

(٦) أي مميت للخلق عند انقضاء آجالهم ، بلا رهبة .

(٧) أي باعث لهم عند إرادة بعثهم بلا مشقة تلحقه .

(٨) يجب الإيمان به لوروده بالدليل النقلي ، قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] .

(٩) يجب الإيمان به لوروده بالدليل النقلي ، قال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

(١٠) يقول الإمام أبو الحسن الأشعري في الإبانة : =

الإحاطة خلقه .

* وإن الله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ، وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد[1] ، لا رادَّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره ، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلاً من عنده[2] .

* ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ، ولا بإحداثه البرية ، استفاد اسم البارىء ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق[3] ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحياهم ،

= « إن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده استواءً منزهاً عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول ، والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد » ا . هـ ص ٢١ .

(١) الضد : المخالف والمنافي ، / والجمع/ أضداد ، كذا في المعجم الوسيط (١/ ٥٣٦) .
الند : المثل والنظير ، / والجمع/ أنداد المعجم الوسيط (٢/ ٩١٠) .
أي تنزه ربنا عن أن يكون له نافٍ لصفاته أو مماثل له .
يقول الشيخ عبد الغني النابلسي ـ رحمه الله ـ :
« لا ذاتـه تشبههـا الـذوات ولا حكـت صفـاتـه الصفـات
ومـا لـه فـي ملكـه وزيـر ولا لـه مثـل ولا نظيـر »
منظومة كفاية الغلام .

(٢) أي آمنا بذلك القضاء كله خيره وشره وحلوه ومره ، وأيقنا أنّ كلاً كائن من عنده بمشيئته وإرادته .

(٣) يعني أن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب ، وهو موصوف بأنه خالق قبل أن يوجد مخلوق .

استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم[1] ، وذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

* خلق الخلق بعلمه ، وقدَّر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً[2] ، ولم يخف عليه شيء من أفعالهم قبل ان خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم[3] ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته .

* والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام ، وذريته حق[4] .

---

(١) يعني أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم ، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم .

(٢) يعني أن الله سبحانه قدَّر آجال الخلائق ، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل : ٦١] .

فالمقتول ميت بأجله ، فعلم الله تعالى وقدَّر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض ، وهذا بسبب القتل ، وهذا بسبب الهدم ، وهذا بالحرق ، وهذا بالغرق ، إلى غير ذلك من الأسباب ، والله سبحانه خلق الموت والحياة ، وخلق سبب الحياة والموت .

(٣) إذ العلم صفة كاشفة ، فالله يعلم ما كان ، وما هو كائن ، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون .

يقول العلامة محمد الغزالي ـ طيب الله ثراه وبلل بالرحمة ذكراه ـ :

« إنه علم يشرق على كل شيء ، فيجلي بواطنه وخوافيه ، ويكشف بداياته ونهاياته ، ويكتنه ذاته وصفاته . فالشهود والغيب لديه سواء ، والقريب والبعيد ، والقاصي والداني » . ا . هـ عن عقيدة المسلم ص ٨٨ .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] هذا هو الميثاق . =

* وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته ، ومشيئته تنفذ ، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي من يشاء فضلاً ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً[1] .

= وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبي ﷺ قال :

« إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قُبُلاً ، قال : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ، إلى قوله : المبطلون » .

رواه الإمام أحمد (١/ ٢٧٢) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٧) ، وغيرهما .

(١) هذه مسألة خطيرة ، وهي تشغل فكر كثير من المسلمين ، لنقف عندها لتوضيحها :

يقول فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي :

« مما لا ريب فيه أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ويفعل بعباده ما يريد ، ولو لم يكن كذلك لكانت قدرته مشوبة بالعجز ، ولكانت مشيئته غير صافية عن الجبر ، ولا ريب أنه مالك هذا الكون كله ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولو لم يكن كذلك لكان في الكون ما هو داخل في سلطان غير سلطانه ، ولكان ثمة حكم آخر من وراء حكمه في الخلائق والعالمين ، وتعالى الله إله العالمين عن ذلك علواً كبيراً ، غير أن هذه الحقيقة لا تُخلُّ بشيء مما هو ثابت مقرر ، من أن الله تعالى جعل الإنسان مخيراً فيما يتعلق به التكليف من تصرفاته وأعماله ، وأن القضاء علمه الأزلي بما سيختاره الإنسان مريداً غير مكره ، وبيان ذلك أن الله تبارك وتعالى جهز جميع المكلفين من عباده بقدر مشترك من الطاقة والعقل والاختيار ، جعله مناط التكليف في حقهم .

فبذلك تتكافأ لديهم فرص المبادرة إلى تطبيق أوامر الله تعالى ، والتزام شريعته ، ويستوون في أنهم جميعاً يتصفون بأصل الأسباب التي تهيئهم للتكليف وتلقي الأوامر ، حتى أنه إذا فقد أحدهم سبباً من هذه الأسباب كالطاقة أو العقل أو الاختيار ، انقطعت عنه تبعة التكاليف واستثني من عموم =

. . . . . .

= الجماعة التي يتعلق بها خطاب التكليف من الله عز وجل ، ولكن الناس بعد أن ينطلقوا من هذا القدر المشترك الذي وضعهم في صف واحد فوق صعيد العدالة الإلهية يختلفون في مدى استعمالهم للأجهزة التي ملكهم الله إياها من عقل وإرادة وطاقة ، يسلكون في ذلك طرائق قدداً ، فمنهم من يفتح عقله لإدراك آيات الله عز وجل من حوله ، ويتجمع طاقته لتطبيق أوامره وأحكامه ، ويستعمل إرادته للاتجاه نحو جانب الخير ، وينظر إلى ما يعتلج في نفسه من الشهوات والأهواء التي تحاول أن تسعى به إلى الشر ، فيرمق بطرفه السماء ، ويُقبل على الله في دعاء منكسر يفيض بالعبودية له ، أن يعينه في أمره ، ويوفقه للتمسك بأحكامه ، فمثل هؤلاء تدركهم ألطاف الله تعالى وفضله ، فيزيد إلى طاقتهم طاقة أخرى من توفيقه ، ويزيد إلى عقولهم عقلاً آخر من هدايته ، ويضع في إرادتهم معنى العزيمة والإصرار ، تجد هذا واضحاً في الكثير من آيات الكتاب الكريم ، من مثل قوله عز وجل : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم : ٧٦] ، وقوله: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦] وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ [يونس : ٩] .

ومنهم من يعمد من أول الطريق فيضع عقله في غطاء عن ذكر الله وآياته ، ويصرف طاقاته من القيام بأمر الله وحكمه ويضع إرادته في أسر شهواته وأهوائه ، ويبدو لكل من يحاول أن يذكره بطرف من هدي الله وحكمه ، أنه مقرر سلفاً أن لا يفهم شيئاً مما يلقى إليه ، وهم الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت : ٥] ، فهؤلاء هم الذين يحيق بهم مكر الله وعقابه في الدنيا قبل الآخرة ، فيوقعهم في مزيد من الغواية والضلالة العقلية ، ويذيب إرادتهم فيما يصرفه عليهم من سعير الشهوات والأهواء الجانحة ، ويبتليهم بمزيد من الانصراف عن موعظة المذكرين ، وآيات الله في العالمين ، تجد هذه السنة الإلهية واضحة أيضاً في الكثير من آيات الكتاب المبين ، مثل قوله تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ =

* والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ، ولا يستغنى عن الله طرفة عين ، ومن استغنى فقد كفر ، وكان من أهل الخسران[1] .

* * *

= سَبِيلًا﴾ [الأعراف : ١٤٦] ، وقوله : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وقوله : ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر : ٣٤] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة : ١١٥] ، وقوله : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة : ١٠] .

وإذاً فإن الله جلَّ جلاله يهدي من يشاء ويُضل من يشاء ، أي أنه لا يعجزه شيء عن أن يقذف أسباب الهداية الجبرية في قلب أضل الكافرين والمارقين ، وأن يقذف أسباب الضلالة في قلب أصلح عباده المؤمنين ، لكنه سبحانه كتب على نفسه تفضلاً منه وإحساناً أن لا يضل من الناس إلا من تعرض لأسبابها ، وصرف عن نفسه وسائل الهداية التي أنعم الله بها عليه ، وأن يقرب أسباب الهداية والتوفيق لكل من عزم على استجابة أمر الله وتكاليفه ، وبسط يد العبودية نحوه يسأله العون والتأييد ، وهذا كله يأتي من وراء القدر المشترك الذي منحه لجميع المكلفين : من أصل الطاقة والعقل والإرادة ، الذي استقرت به حجة الله على الناس في أمر التكليف » . ا . هـ عن كتاب من الفكر والقلب ، ص ٤٣ وما بعدها .

(١) ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر : ١٥] .

إنما العبد ذخره مولاه ، فكيف يستغني العبد عن بارئه ، عن ربه الحنان الرؤوف الكريم ، عمن خلقه وحباه وأمده بالعون والرعاية والحفظ والكلاءة ؟ اللهم ما لنا مولى سواك ، فاكلأنا كلاءة الوليد في المهد ، ودبر أمورنا يا أكرم الأكرمين .

مسائل ملحقة بالأصل الأول وتشتمل على :

« رؤية الله سبحانه .

خلق أفعال العباد .

درر منثورة ، تعليق واسع لي ، وبه يكون ختام هذا الأصل » .

أولاً : رؤية الله سبحانه :

* والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا حيث قال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سلَّمَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ(١) .

---

(١) من أدلة أهل السنة والجماعة في الرؤية ما يلي :

قال تعالى عن الكفار : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] ، وهذا يفيد أن ذلك عقوبة لهم ، ويفيد أن أهل الإيمان يرونه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] . قال تعالى عن موسى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فطلب موسى الرؤية وهو العارف بربه دليل إمكانها ، وتعليق الله عز وجل إياها على ممكن دليل إمكانها .

ولذا أجمع أهل السنة والجماعة على أن رؤية الله ممكنة عقلاً ، واجبة نقلاً ، واقعة فعلاً للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] ، ومن كلام أهل السنة والجماعة : أن من ادعى رؤية الله تعالى يقظة فقد كفر « انظر =

وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه ، ونقول : الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه ولا نخوض في الله .

* ولا تثبُت قدَمُ الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام علم ما حظر عليه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة ، وصحيح الإيمان ، فيتذبذب بين الكفر والإيمان ، والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً .

* ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأوّلها بفهم ، إذ كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنًى يضاف إلى الربوبية ـ بترك التأويل ولزوم التسليم ، وعليه دين المرسلين وشرائع النبيين .

= شرح الجوهرة لتتان وزميله ص ٢٦٥ » ، واختلفوا في ثبوت الرؤية في الدنيا لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، فالجمهور على ثبوتها ، والمسألة خلافية منذ عصر الصحابة والراجح ثبوت الرؤية له ﷺ بقلبه .

نصوص في إثبات الرؤية :

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر ، وقال : إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق : ٣٩] ، رواه البخاري (٤٨٥١) ، ومسلم (٦٣٣) .

عن صهيب الرومي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى » رواه مسلم (١٨١) ، والترمذي (٢٥٥٢) ، وابن ماجه (١٨٧) ، وأحمد (٤/ ٣٣٣) .

اللهم أكرمنا ببهجة النظر إلى وجهك الكريم .

ثانياً : خلق أفعال العباد .

* وأفعال العباد هي بخلق الله تعالى ، وكسب من العباد .

* ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ، ولا يطيقون إلا ما كلفهم ، وهو تفسير « لا حول ولا قوة إلا بالله » . نقول : لا حيلة لأحد ، ولا حركة لأحد ، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة والثبات عليها إلا بتوفيق الله تعالى .

* والاستطاعة[1] التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا

---

(١) يقول شارح الطحاوية الشيباني رحمه الله تعالى :

قال أهل الحق : الاستطاعة على نوعين : النوع الأول : استطاعة سابقة على الفعل وهي سلامة الآلات والتمكين والوسع . قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ ﴾ [النساء : ٩٢] .

لأن استطاعة الفعل لا يمتد إلى شهرين .

النوع الثاني : استطاعة يوجد الفعل بوجودها ، وينعدم بعدمها ، وهي مقارنة للفعل يوجد معه ولا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، وحجة أهل الحق : أن الله تعالى قَرَنَ الاستطاعة بالفعل بقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ [الأعراف : ١٩٢] ، ﴿ وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف : ١٠١] ، ﴿ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٦٧] ، فدلت هذه الآيات وأمثالها :

أن الاستطاعة للفعل ، ولا يوجد الفعل إلا بالاستطاعة ، فاقتضى أن يكون مع الفعل لأنها لو تقدمت الفعل لعري عن الاستطاعة ، لأنها عرض لا يبقى إلى وقت وجود الفعل ، فيحصل بلا استطاعة فيخالف النصوص ، ولأن الاستطاعة قوة يخلقها الله تعالى في أعضاء العبد ، يحدث وقتاً بعد وقت ، وهي عرض لا يبقى زمانين وذلك بتوفيق الله وتيسيره في إقامة الطاعات ، وبخذلانه في إقامة المعاصي . ا . هـ ، ص ٧٩ـ٨٠ باختصار .

يجوز أن يوصف المخلوق بها تكون مع الفعل ، وأما الاستطاعة من الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل ، وبها يتعلق الخطاب ، وهو كما قال الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

درر منثورة

خاتمة الأصل الأول :

أولاً : تتكون العقيدة في الله في الإسلام من هذه العناصر :

١ـ الاعتقاد بوجوده الواجب لذاته ـ غير المستمد من سواه ـ ووصفه جلّ وعلا بصفات الكمال نتيجة للنظر في هذا الكون .

٢ـ نفي صفات المشابهة والنقص عن الخالق سبحانه ، فالتجسيم منفي عنه ، لأن المادة تتحول والخالق بعيد عن وصف التحول ، والتعدد منفي عنه لأنه تركيب ، والإله لابد أن يكون واحداً ، والأبوة والبنوة بعيدان عن صفاته ؛ لأنهما تجزئة وانفصال ، والخالق لا يتجزأ ، وهكذا .

٣ـ عدم التعرض لله سبحانه في حقيقة وماهية الذات والصفات من حيث هما مع الاحتراس الدقيق بتقرير المخالفة التامة بين ماهية ذات الإله وصفاته ، وماهية المخلوق وصفاتهم ، وما ورد من صفات لله تُوهم المشابهة نحملها على القاعدة : « إثبات من غير تمثيل ، وتنزيه من غير تعطيل » .

٤ـ رسم الطريق إلى معرفة صفات الخالق وإدراك كمالات الألوهية ومميزاتها وآثارها ، والوصول إلى ذلك عن طريق النظر في الكون نظراً صحيحاً ، وتحرير العقول والأفكار من الموروثات والأهواء

والأغراض ، حتى نصل إلى الحكم الصائب .

٥ـ تقوية الصلة بين الوجدان الإنساني والخالق جلّ وعلا ، حتى يصل الإنسان بذلك إلى نوع من المعرفة الروحية ، هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعاً ، وذلك أن الوجدان الإنساني أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة ونتائج الأقيسة الحسية .

٦ـ مطالبة المؤمنين بأن تظهر بأقوالهم وأفعالهم آثار هذه العناصر العقيدية (الإيمان بالله وملائكته . . .) ، فالمؤمن متى اعتقد أن خالقه قادر ، كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة أن يتوكل عليه ، وأن يلجأ إليه ، وإذا اعتقد أنه عالم راقبه ، واستولت عليه خشيته ، وإذا اعتقد أنه واحد لم يدعُ سواه ولم يسأل غيره ، ولم يصرف وجهه إلا إليه ، وهكذا .

ثانياً : الأدلة على صدق العقيدة في الله :

☆ **أول الأدلة : دليل الفطرة** : يُعرِّف الدكتور أحمد فرحات الفطرة بأنها : توحيد جبلي لله ومعرفة أولية مجملة بالخير والشر والفجور والتقوى[١] .

لقد فُطر الإنسان على التوحيد غريزة وجبلة ، وطُلِبَ إليه أن يؤكد هذا التوحيد عن طريق استخدام العقل والحواس ، وملاحظة آيات الله الدالة عليه ، الشاهدة بوحدانية ، وأن لا يغفل عنها ويمر بها معرضاً عنها .

ولقد ذكَّرنا الله بميثاق الفطرة حتى لا نغفل عن ذلك ، حين قال :

---

(١) فطرة الله ، ص ٣٧ .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ .

[الأعراف : ١٧٢]

ومن هنا يكاد لا يخلو إنسان على وجه المعمورة من هذه الفطرة ، وتراه يتخذ مراسيم العبودية لله كائنة ما كانت هذه المراسيم ، وهذا يدل على أن العقيدة في الله الخالق ، فطرة في نفوس البشر .

يقول المؤرخ الإغريقي القديم ـ بلوتارك ـ[1] : « لقد وُجِدَت في التاريخ مدنٌ بلا حصون ، ومدنٌ بلا مدارس ، ومدنٌ بلا قصور ، ولكن لم توجد قط مدنٌ بلا معابد » .

☆ **ثاني الأدلة** : الكون وفي صفحاته دلائل وبصائر : انظر إلى هذا الكون تجد التعاون والتناسق والتناغم بين أجزائه ، بحيث يؤدي كل جزء منها مهمته بانتظام دون أن يصطدم بالأجزاء الأخرى أو يعوق سيرها ، أو يجور عليها ، بل العكس ، يمدها بما تحتاج إليه مما عنده ويأخذ منها ما يفتقد هو إليه مما عندها ، كما يحدث في المبادلة القائمة بين المملكة الحيوانية والمملكة النباتية .

فمن المعلوم أن كل الكائنات الحيوانية تمتص الأكسجين وتلفظ ثاني أكسيد الكربون ، أما النبات فهو على العكس ، يتعمل ثاني أكسيد الكربون ويلفظ الأكسجين ، فهناك تبادل مشترك بين الإنسان والحيوان من جانب ، وبين جميع النباتات من جانب آخر ، فما نطرده نحن تنتفع به هي ، وما تطلقه هي نتنسمه نحن ، وبدونه تنتهي حياتنا بعد خمس دقائق ، فلو لم تكن هذه المقايضة قائمة ، ما

---

(١) وجود الله ، د . القرضاوي ، ص ٢٤ .

استمرت الحياة إلى اليوم ، تُرى من الذي قدّر هذا التناسق ، وأقام هذا التوازن ، ووضع هذا النظام المحكم ؟!! .

ومن الذي نظم العلاقة بين الشمس والأرض ، وبين الأرض والقمر ، وبين القمر والشمس ، وبين كواكب المجموعة الشمسية بعضها ببعض ، وبين المجموعة الشمسية وملايين المجموعات النجمية الأخرى في مجرتنا الكبرى ، وبين مجرتنا وملايين المجرات الأخرى بحيث تتعاون ولا تتصادم ؟ إنه الله ربنا .

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ٥-٧] .

قانون البداهة يفرض علينا أن نقول : « الصنعة تدل على الصانع ، وهذا الكون يدل على وجود المكون له والمنظم والمرتب والمنسق ، وما أجمل قول الأعرابي : الأثر يدل على المسير ، والبعر يدل على البعير ، سماءٌ ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدل على اللطيف الخبير » .

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خُطَّ فيها لو تأملت سطرها ألا كل شيء ماخلا الله باطل

ومن هنا كان علماء الكون أعرف الناس بالله ، وأوثقهم اعتقاداً به ، وكانت العلوم الكونية الطبيعية من الوسائل القريبة إلى معرفة الله ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

[فاطر : ٢٧-٢٨] .

ثالثاً : من شهادات علماء الكون[1] :

غاليلو مخترع التلسكوب : « لشدة ما أنا مأخوذ بروعة ما أرى ، ومدين لله بما وهبني لكي أكشف عن هذا الإبداع العظيم الذي لم يظهر لكل الأجيال السابقة » .

ماكس بلانك العالم الطبيعي الذي فتح الطريق لأسرار الذرة : « إن الدين والعلوم الطبيعية يتقاتلان معاً في معركة مشتركة ضد الجحود والشك والخرافة ، ولقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحرب وسوف تكون دائماً إلى الله » .

شاتلون رائد الفضاء الروسي : « أنا شخصياً أومن بالله ، وبعقل الإنسان أيضاً » .

رابعاً : دراسة العقيدة :

يقول د . يوسف القرضاوي :

« دراسة العقيدة مبنية على أساسين :

١ـ القرآن الكريم ، لا على أنه أخبار نقلية ، بل بما يتضمنه وما ينبه عليه من براهين ، فقد أنزله الله هدًى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، ويؤخذ من السنن الصحاح ما يبين القرآن ، وما يسير في ضوئه .

٢ـ العلوم الكونية الحديثة ، بما تكشف للناس من أدلة تعين الناس ـ وخصوصاً المتشككين ـ في وجود الله تعالى وفي وحدانيته ،

---

(١) هذه الأقوال منقولة عن كتاب الإيمان بالله في ضوء العلم والعقل للأستاذ محمد رشدي عبيد .

وإبداعه في كونه ، وإحسانه لخلقه ، وتقرِّب منهم الحقائق الدينية من النبوة وأمور الآخرة »[1] . وأزيد ثالثاً فأقول :

٣ـ الكتب التي تعتني بهذين الأمرين والتي تستوعب الشبه المثارة في أيّامنا وتحسن الردَّ عليها .

من أهم الكتب التي عنيت بهذه الأمور :

أ ـ مبادىء العقيدة الإسلامية ، د . مصطفى سعيد الخن ـ حفظه الله ـ .

ب ـ عقيدة المسلم ، المرحوم العلامة الداعية الكبير محمد الغزالي .

جـ ـ الإيمان والحياة ، د . يوسف القرضاوي ـ حفظه الله ـ .

د ـ مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان ، المهندس عبد الوهاب محمود المصري ـ حفظه الله ـ .

مسك الختام فائدة : يقول الإمام ـ ابن جُزَيْ ـ رحمه الله[2] :

« . . . اعلم أن أسماء الله وصفاته تنقسم على الجملة إلى ثلاثة أقسام منها ما يرجع إلى الذات ، وإلى صفات الذات ، وإلى صفات الفعل ، وتنقسم بالنظر إلى معانيها إلى عشرة أقسام :

الأول : اسم يدل على الذات وهو قولنا (الله) وقد قيل : إنه اسم الله الأعظم .

الثاني : أسماء تدل على الوحدانية كاسمه الواحد ، والصمد ، والوتر .

الثالث : أسماء تدل على الحياة كالحي والأوَّل والآخر .

الرابع : أسماء تدل على اختراع المخلوقات وذلك أخص صفات

---

(١) في الطريق إلى الله ـ الحياة الربانية والعلم ـ ١/ ١١١ .

(٢) القوانين الفقهية ، ص ١٥ .

الربوبية كالخالق والباري والفاطر .

الخامس : أسماء تدل على القدرة كالقدير والمنتقم والقهار .

السادس : أسماء تدل على الإرادة كالمريد والفعّال لما يريد والقابض والباسط .

السابع : أسماء تدل على الإدراك كالعليم والسميع والبصير .

الثامن : أسماء تدل على العظمة والجلال كالعظيم والكبير والعلي .

التاسع : أسماء تدل على الملك والتملك كالملك والمالك والغني .

العاشر : أسماء تدل على الرحمة كالرحمن والرحيم والغفار والتواب والوهاب » . فاعرفها .

* * *

obeikandl.com

الأصل الثاني

« الإيمان بالملائكة وما يستتبعه »

* نؤمن بالملائكة[1] .

---

(١) الملائكة نوع من مخلوقات الله عز وجل ، لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم ، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف ، ووجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك ، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفراً بإجماع المسلمين ، بل بنص القرآن العظيم ، فقد قال الله عز وجل :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

النساء : ١٣٦]

صفاتهم :

ـ العبودية لله جلّ جلاله :

فليسوا أولاداً ولا أنداداً :

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

[النساء : ١٧٢]

ـ التقيد بأوامر الله :

فلا يعصون الله في أمر ولا ينحرفون إلى ارتكاب منهي :

﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

[التحريم : ٦]

=

من وظائف الملائكة :

* [ونؤمن بالروح الأمين][1] ، ونؤمن بالكرام الكاتبين ، وأن الله قد جعلهم حافظين[2] ، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين[3] .

= **ـ لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة :**

قال تعالى منددا على الكافرين : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

ـ لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر : ١] .

ـ مع كونهم مخلوقين من نور غير مرئي للعين ، فإن الله عز وجل قد منحهم القدرة على التشكل والظهور بمظهر الأجسام الكثيفة المختلفة :

جاء في قصة السيدة العذراء مريم قوله سبحانه :

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ .

[مريم : ١٧]

(١) هو جبريل ، ووظيفته إبلاغ كلام الله وحكمه إلى عباده المرسلين .

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ـ١٩٤].

(٢) رقيب وعتيد وظيفتهما مراقبة أعمال المكلفين وتصرفاتهم ، وإحصاؤها في كتاب مبين ، أحدهما يكون عن يمين الإنسان وهو يحصي ما يحققه من حسنات ، والثاني عن شماله ، وهو يحصي ما اكتسبه من آثام .

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

[قَ : ١٧ـ١٨]

(٣) عزرائيل ، ووظيفته قبض الأرواح .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١] .

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ .

[السجدة : ١١]

الجمهور : على أن ملك الموت واحد ، ولكن الله جل جلاله عزه بطائفة أخرى من الملائكة شأنها معه كشأن الجنود مع القائد . =

. . . . . .

= ومن وظائفهم أيضاً :

حمل العرش : وقد نصَّ القرآن أن عدد الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية من الملائكة :

﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٦] .

الخزنة : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] .

الزبانية : القائمين بشؤون النار وأهلها .

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ [المدثر : ٣١] .

المعقبة والحفظة : ووظيفتهم المحافظة على الإنسان خلال مراحل حياته في مختلف شؤونه كلها :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام : ٦١] .

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد : ١١] .

وبالإضافة لما ذكر فإن لهم وظائف كثيرة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١]

من رؤساء الملائكة :

جبريل وميكال : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] .

مالك ـ خازن النار ـ ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

إسرافيل : موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم .

ويستتبع الكلام عن الملائكة الحديث عن الجن والشياطين .

أولاً : الجن : أرواح قائمة في أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بصور مختلفة ، يأكلون ويشربون ، وفيهم الذكر والأنثى ، ويتناكحون ويتناسلون ويموتون كما هو حال الإنس ، والجن قادرون على أعمال عظيمة لا يستطيعها الإنس ، والجن لا يعلمون الغيب ، وفي قصة سليمان ووفاته عليه السلام دليل على ذلك .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

ثانياً : الإيمان بوجودهم من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر =

. . . . . .

= منكرها لأنه تكذيب للخبر المتواتر اليقيني الوارد إلينا عن الله جل جلاله ، وهو يناقض الإيمان بالله جلَّ جلاله ، كما يناقض الإيمان بكتابه المعجز .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] وهذا دليل تكليفهم أيضاً .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

ثالثاً : أصل الجان : المارج : اللهب الصافي الذي لا دخان فيه .

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥] .

رابعاً : عالم الجن فيه الكافر والمؤمن والفاسق ، قال تعالى على لسان الجن :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن : ١١] ، طرائق قدداً : أديانا مختلفة .

خامساً : لا خلاف في أن بعثة سيدنا محمد ﷺ للإنس والجن ، ولكن هل كان قبل محمد ﷺ ترسل رسل إلى الجن ؟

قولان للعلماء في ذلك :

فابن عباس وآخرون يرون أنه لم يبعث رسولاً من الجن وهو قول الجمهور .

وقال الضحاك وابن حزم رحمهما الله وآخرون : إنه قد ابتعث الله من الجن أنبياء ورسلاً ، ويستشهدون على ذلك بقوله : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ﴾ [الأنعام : ١٣٠]

مسألة : هل الكافرون من الجن هم الشياطين أو الشياطين جنس آخر ؟

إذ الجنُّ مخلوقات هوائية ، والشياطين مخلوقات نارية ، قولان للعلماء ، والراجح أن الشياطين هم كفرة الجن .

فائدة : الوقاية من مس الجن والشياطين تكون بالذكر والاستعاذة وتلاوة القرآن ، والصلاة ، ومن أصيب بسبب من الجن ، فبالإمكان معالجته بتلاوة المعوذات وآية الكرسي ، وقراءة سورة البقرة ، ويصح التداوي بكل شيء تجيزه الفتوى .

الأصل الثالث

« الإيمان بالكتب المنزلة »

* [نؤمن با] لكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين[1] .

* وأن القرآن كلام الله تعالى بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية[2] ، فمن سمعه فزعم أنه كلام

---

(١) الإيمان بالكتب معناه التصديق الجازم بأن جميعها منزل من عند الله ، وأن الله تكلم بها حقيقة .

والكتب التي سماها الحق سبحانه وتعالى في القرآن هي :

القرآن ، التوراة ، الإنجيل ، الزبور ، صحف إبراهيم وموسى .

﴿ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٢ـ٣] .

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٦] .

(٢) أي ليس كلام الله من جنس مقول الخلق « الحروف والأصوات » التي هي مخلوقة .

قال في بدء الأمالي :

وما القرآن مخلوقاً تعالى كلام الرب عن جنس المقال=

البشر ، فقد كفر ، وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه حيث **قال** : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر : ٢٦] ، فلما أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٥] ، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر **ولا يشبه** قول البشر .

* ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ وآله وصحبه أجمعين[(١)] ، وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين .

* ولا نقول بخلق القرآن ، ولا نخالف جماعة المسلمين[(٢)] .

* * *

= ولن أزيد الكلام في المسألة إذا هي انقضت ولله الحمد . انظر إرشاد الفحول للشوكاني ـ رحمه الله ـ مبحث المحكوم عليه .

(١) الإيمان بالقرآن يقتضي الإيمان بعموم الخطاب فيه للمكلفين من الإنس والجن جميعاً ، ويقتضي الإيمان بخلود هذا الخطاب ، وأن المكلفين مخاطبون به حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وأنه شامل كامل ، وأنه الكتاب الوحيد الذي لم يداخله تغيير ولا تبديل ، وأنه حاكم وناسخ لكل كتاب سابق .

(٢) إذ القول بأن كلام الله مخلوق فيه شق لعصا جماعة المسلمين .

obeikandl.com

الأصل الرابع

« الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام »

* [نؤمن بالرسل] ، ولا نفرق بين أحد من رسله ، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به[1] .

---

(١) العقل والنقل متضافران على أن الرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين لابدَّ أن يتصفوا بأربع صفات رئيسية :

الصدق ، الأمانة ، التبليغ ، الفطانة .

الصدق : مطابقة الخبر للواقع ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

الأمانة : العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمعصية ، فهي في اصطلاح العلماء القيام بالتكليف وهو الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

الفطانة : القدرة على إقامة الحجة وما يتبع ذلك من وفور عقل وقوة فهم وسرعة بديهة ؛ لأن مهمتهم إقامة الحجة بدين الله على المكلفين من خلق الله ، وفي قصة إبراهيم عليه السلام هدى وبصيرة ، قال تعالى :

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

التبليغ : إيصال رسالات الله إلى من أمروا بتبليغهم إياها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة : ٦٧] .

هذا ويستحيل في حقهم ضد هذه الصفات الأربع ، ويجوز في جانبهم الكريم سائر الأعراض البشرية كالأكل والمشي في الأسواق ، والجماع =

* ونقول : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلّم موسى تكليماً ، إيماناً وتصديقاً وتسليماً .

وإن محمداً ﷺ عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى ، ورسوله المرتضى ، خاتم الأنبياء[1] ، وإمام الأتقياء ، وسيد المرسلين ،

= والمرض ، إلا ما ينفر الطباع .

وقد أيدهم الله بالمعجزات ، والمعجزة كما يعرفها شارح الجوهرة : أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة والتحدي . دعوى الرسالة ا . هـ (إتحاف المريد ، ص ١٨٩) .

وأهم المعجزات التي أُيِّد بها الأنبياء ، معجزة نبينا ﷺ معجزة القرآن الكريم ، هذا السفر الأكرم ، الذي فتح الله بآية منه باب التحدي للبشرية على مصراعيه .

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

فأيُّ تحدٍّ كهذا التحدي ، إنه الكتاب المعجز الذي ينطق بصدق نبوة محمد ﷺ على مدى الدهور والأزمان .

جاء النبيون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بكتاب غير منصرم

آياته كلما طال المدى جددٌ ... يزينهن جمال العتق والقدم

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أسماء خمسة وعشرين نبياً مرسلاً ، فهؤلاء يجب الاعتقاد بنبوتهم تفصيلاً ومعنى ذلك أنه لا يجوز للمسلم إذا ما سئل عن واحد من هؤلاء أن يجهله أو يجهل كونه نبياً وهم : آدم ، نوح ، صالح ، إدريس ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، أيوب ، ذو الكفل ، موسى ، هارون ، سليمان ، داود ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين .

(١) فلا نبي بعده ، وأما عن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ، فيحدثنا السعد التفتازاني عن ذلك قائلاً :

« لكنه ـ أي عيسى ـ عليه السلام ، يتابع محمداً ﷺ ، لأن شريعته قد نسخت ، فلا يكون إليه وحي ونصب أحكام ، بل يكون خليفة رسول الله ﷺ »

ا . هـ ، شرح النسفية ، ص ٢١٤ .

وحبيب رب العالمين ، وكل دعوة نبوة بعد نبوته ، فغي وهوًى ، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى المبعوث بالحق والهدى .

* والمعراج [للنَّبي ﷺ] حقٌّ ، وقد أسري بالنَّبي ﷺ ، وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ، ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلا ، وأكرمه الله تعالى بما شاء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى[1] .

---

(١) قال الشيخ زاهد الكوثري ـ رحمه الله ـ :

* الإسراء والمعراج آيتان من آيات الله الكبرى ، اختص بهما المولى فخر رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

* والإسراء مسراه ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهذا ثابت بنص القرآن فيكفر منكره .

* أما المعراج : فعروجه إلى ما فوق السموات العلى ، وهذا ثابت بأحاديث صحيحة فيعد منكره مبتدعاً لا كافراً .

* وقد كانا بالروح والجسد .

* ولا معدل عمّا ذهب إليه جمهور أهل العلم من أن المعراج والإسراء كانا في حالة اليقظة ، وفي ليلة واحدة ، أخذاً بالدليل المستفيض السالم من العلل ، ونبذاً للأخبار التي فيها علل .

رجح النّواوي ـ رحمه الله ـ أنها كانت أي الإسراء والمعراج الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب ، وإليه ذهب ابن الأثير والرافعي .

ولقاؤه ﷺ رسل الله وأنبياءه عليهم السلام في السموات لقاء روحاني ، وتعارف معنوي بينهم ، وتعريف لهم بما له ﷺ من المنزلة السامية وفي ذلك ، وفي إمامته ﷺ لجماعة الأنبياء تكريم عظيم له من الله سبحانه . ا .هـ عن المقالات بتصرف ، ص ٤١٦ وما بعدها .

وهذه الرحلة ترويح لروحه ﷺ من عنت ذلك العام الشاق الذي صادف فيه إدبار الطائف عن دعوته ووفاة زوجه وعمه .

ومادام الحديث عن الإسراء والمعراج ـ وهو ما اختص به سيدنا محمد ﷺ ـ فلنتبع الكلام عن رسول الله ﷺ بذكر ما ينبغي معرفته بالضرورة من سيرته ولا ينبغ للمسلم الجهلَ بها .

=

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم : ١١] ، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى .

= **نسبه الشريف :**

« محمد رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كِلاب ، بن مُرَّة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فِهْر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مُدرِكة ، بن إلياس ، بن نزار ، بن معدّ ، بن عدنان » ا . هـ عن السيرة النبوية للإمام النووي ص ٧ .

أمه :

« السيدة آمنة بنت وهب » .

مكان ولادته وتاريخها :

« ولد في مكة يوم الإثنين ٩ ربيع الأول ٥٧١ م » .

مبعثه :

« في الأربعين من عمره الشريف ، نزل عليه الأمين جبريل عليه السلام ، وهو في غار حراء ، فغطَّه ثلاثاً وخاطبه يقظة شفاهاً ، وبلّغه رسالة ربه عز وجل » .

وفاته :

« في الثالثة والستين من عمره الشريف توفّاه الله تعالى ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأُمَّة » .

مكان وفاته :

« وقبره الشريف في المدينة المنورة » .

محبته :

* محبة خالصة واجبة ويكون ذلك :
* بتعظيم أمره .
* واتباع سنته .
* وخدمة شريعته ، ونشر أخلاقه في الأمة ، والإكثار من الصلاة عليه ﷺ وبارك عليه .

الأصل الخامس

« الإيمان بالآخرة »

« القبر أول منازل الآخرة »

أولاً : ما يتعلق بالموت :

* نؤمن بملك الموت[1] الموكَّل بقبض أرواح العالمين ، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً[2] ، وسؤال منكر ونكير للميت في

---

(١) تسميته بعزرائيل دلّت عليه بعض الآثار ، كما يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ، ومعنى عزرائيل « عبد الجبار » . انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٧٣) في سورة السجدة ، آية : ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة : ١١]

(٢) يقول د . عبد الملك السعدي : عذاب القبر ليس المراد به الحفرة التي يدفن فيها الميت فقط ، بل المراد أي مكان يحل فيه بعد الموت سواء الأرض أو الهواء أو البحار أو بطون الحيوانات وغيرها عن شرحه للنسفية ص ٢٦ .

وإضافة العذاب للقبر على سبيل التغليب .

ويقول الإمام ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ :

« وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به .

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ « البرزخ ما يكون بين الموت ويوم=

قبره[1] عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[2] .

* والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار[3] .

= القيامة » فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب ، أو أغرق في البحر ، وصل إلى روحه من العذاب ما يصل إلى القبور » ا . هـ عن شرحه للطحاوية (٢/ ٥٧٩ـ٥٨٠) .

(١) منكر ونكير : هما ملكان يسألان العبد في القبر ، وسميا بذلك لإتيانهما الميت بهيئة منكرة ، وقيل هما للكافر والفاسق ، ومبشر وبشير للمؤمن . انظر الجزء الرابع من تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري رحمه الله ، باب ما جاء في عذاب القبر .

(٢) من هذه الأخبار : ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ـ وإنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ ـ لمحمد ﷺ ـ ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً » .

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس ، قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة سمعها من غير الثقلين » البخاري (١٣٧٤) ، ومسلم (٩٠٥) .

(٣) هذا قطعة من حديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة برقم (٢٤٦٠) (ثم قال : حسن غريب)، والطبراني في الأوسط (٩/ ٨٦١٣) ، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦١) .

نسأل الله أن يكرمنا بقبور كرياض الجنة ، وأن يعيذنا من غيرها

فائدة :

والعذاب للكافر والمنافق دائم ديمومة البرزخ ، وينقطع عن المؤمن =

ثانياً : أشراط الساعة :

* ونؤمن بأشراط الساعة[1] منها :

= العاصي إن خفّت جرائمه ، كما يرفع بالدعاء أو الصدقة أو غير ذلك ، كما قاله ابن القيم رحمه الله ، وكل من لا يسأل في القبر لا يعذب . ا .هـ شرح الجوهرة للباجوري ص ٤٦٦ ت تتان وكيلاني .

ذكرى

يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ :

« جدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده ، أن لا يكون له فكر إلا في الموت ، ولا ذكر إلا له ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبر إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا تعريج إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار وتربص إلا له ، وحقيق بأن يعتبر نفسه من الموتى ، ويراها في أصحاب القبور ، فإن كل ما هو آت قريب ، والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال رسول الله ﷺ :

« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » .

عن موسوعة إحياء علوم الدين (٤/ ٤٧٥) .

(١) يقول د . البوطي ـ حفظه الله ـ :

« وأمّا عن علامات الساعة وأشراطها التي تكون بين يديها ، فقد حدثنا كلٌّ من الكتاب والسنة عن أشراط لها ، ولا شك أن جملة هذه الأشراط مما هو معروف من الدين بالضرورة ، فلا يجوز للمسلم أن ينكرها أو يمتري بها ، وإن كانت داخلة في المغيبات التي لم تقع بعد ، وأمّا النظر التفصيلي في كلٍّ منها فإن ذلك يقتضينا أن نقسم هذه الأشراط إلى قسمين : فأما القسم الأول منها فثابت بالخبر المتواتر الذي يورث القطع واليقين ، وأما القسم الثاني فمنقول إلينا عن طريق الآحاد » ا .هـ ، كبرى اليقينيات الكونية ، ص ٣١٨ .

قلت : والعلامات التي ذكرها الإمام الطحاوي مما يدخل في القسم الأول ، أي مما ورد به الخبر القطعي فكان الإيمان بها واجباً . =

خروج الدجال[1] ، ونزول عيسى عليه السلام[2] ، وبطلوع

= **نص حديثي في ذكر بعض علامات يوم القيامة .**

« عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ، قال : اطلع النَّبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : وما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » . رواه مسلم (٢٩٠١) (٤٠) (٤١) ، والترمذي (٤/ ٢١٨٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وغيرهما .

(١) ويدعي الربوبية ومعه الخوارق ، والدجال لقبٌ لُقِّب به لشدة تدجيله وكذبه ، ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل ، ولعلك تتوق لمعرفة سبيل النجاة يرشدنا إليه الشيخ النبهاني ـ رحمه الله ـ ، فيقول : « وأمّا كيفية النجاة منه ، فاعلم أن النجاة منه بالعلم والعمل ، **أما العلم** : فيعلم بأنه يأكل ويشرب ، وأن الله منزه عن ذلك ، وأنه أعور ، وأن الله ليس بأعور ، وأن أحداً لا يرى ربه حتى يموت ، وهذا يراه الناس أحياء قبل موتهم ، وغير ذلك ، **وأما العمل** : فبأن يلتجىء إلى أحد الحرمين ، فإنه لا يدخلهما ، أو إلى المسجد الأقصى أو مسجد الطور ، ففي بعض الروايات أنه لايدخلهما أيضاً ، وبأن يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف ، وبأن يهرب منه في الجبال والبراري ، فإنه أكثر ما يدخل في القرى ، فعن عبيد بن عمير : ليصحبن الدجال أقواماً يقولون : إنا لنصحبه ، وإنا لنعلم أنه لكافر ولكنا نصحبه نأكل من طعامه ونرعى من الشجر ، فإذا نزل غضب الله ، نزل عليهم كلهم » رواه نعيم بن حماد . وبأن يتفل في وجهه ، فعن أبي أمامة مرفوعاً : « فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه » رواه الطبراني . وبالتسبيح والتكبير والتهليل ، فإنه قوت المؤمنين في ذلك القحط ، وإن من ابتلي به فليثبت وليصبر وإن رماه في النار فليغمض عينيه وليستعن بالله تكن عليه برداً وسلاماً . ا .هـ ، علامات يوم القيامة ص ١١٠ وما بعدها .

(٢) نزوله ثابت بالقرآن وبالصحيح المتواتر من السنة ، وورد في الصحيح أنه يبقى أربعين سنة . =

الشمس من مغربها[1] . وخروج دابة الأرض من موضعها[2] .

ثالثاً : يوم القيامة وأحداثه :

* نؤمن بالبعث[3] وبجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض[4] ، والحساب[5] ، وقراءة الكتاب[6] والثواب والعقاب

---

(١) علامة تفردت السنة بذكرها .

(٢) تعبير قرآني نكل علم نوعه وشكله وهيئته إلى الله عز وجل . ا . هـ ، مبادىء العقيدة ، ص ٣٤٧ لسعادة د . مصطفى سعيد الخن .

(٣) **البعث** : إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء وهناك .
الحشر : سوقهم جميعاً إلى الموقف ، وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء ووزن الأعمال ، ومنه إلى جنة أو إلى نار ، وهو أرض لم يعص الله عليها .

(٤) ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الكهف : ٤٨] ، يؤمر الناس بالاصطفاف والوقوف استعداداً كوقفة الجندي وصف العساكر .

(٥) ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر : ١٧] . الحساب حق ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، وتوقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أم شراً ، قولاً كان أو فعلاً بعد أخذهم كتبها ، ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن ، إلا من استثنى الله تعالى منهم ، وفيه شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة ، قال تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠-٢١] ، أما الأنبياء وسائر الصلحاء فهم عن كل هذا مبعدون .

(٦) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٦-١٢] ، فأخذ الصحف واجب لوروده بالكتاب والسنة ، ولانعقاد الإجماع عليه ، فمن أنكره كفر ، والصحف هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا ، ولكل =

والصراط[1] .

* والميزان[2] ، والحوض[3] الذي أكرم الله تعالى به [سيدنا

= مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة ، وإن كانت متعددة في الدنيا فكل إنسان بيده صحيفته ، ولكل إنسان كتابه الذي ضم ما سجلته الملائكة عليه ، وهناك الكتاب الذي يسجل فيه كل شيء على الأفراد والأمم .

(١) يجب الإيمان به لورود الدليل السمعي ، معناه لغة : الطريق ، لأنه يصرط المارة ، أي يبتلعهم ، شرعاً : جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار ، إلا أن الحليمي ذهب إلى أنهم لا يمرون ، ويجوز أنه قصد بالكفار الذين لا يمرون من تلقي بهم الملائكة في النار من الموقف ، وكل من يمر ساكت إلا الأنبياء يقولون : اللهم سَلِّم سَلِّم ، وفي بعض الروايات أنه أدق من الشعرة ، وأحدُّ من السيف ، ا .هـ شرح جوهرة التوحيد ، ص ٤٠٥ .

نص حديثي في الصراط : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً ، وعلى جنبيه ملائكة يقولون : اللهم سَلِّم ، اللهم سَلِّم ، فمن الناس من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر كالرمح ، ومنهم يمر كالفرس المجرى ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يحبو حبواً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، فأما أهل النار هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون ، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً ، ثم يؤذن بالشفاعة » رواه البخاري (٤٥٨١) ، ومسلم (١٨٣) ، وغيرهما .

(٢) ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

(٣) لكل رسول حوضه الذي ترد عليه أمته ، وحوض رسولنا ﷺ هو أكثرهم وروداً .

نصوص حديثية في الحوض :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، كيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا =

محمد ﷺ] غياثاً لأمته حق .

* والشفاعة التي ادخرها الله لهم كما روي في الأخبار[1] .

= يظمأ بعده أبداً » رواه البخاري (٦٥٧٩) ، ومسلم (٢٢٩٢) .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، ألا في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يسحب منه مزابان من الجنة ، فمن شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ما بين عُمَان إلى أيلة وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل » رواه مسلم (٦٠٨٢) ، والترمذي (٢٤٤٥) .

(١) قال الإمام المقدسي :

« ويعتقد أهل السنة ويؤمنون أن النَّبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة ، ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا » ا . هـ الاقتصاد في الاعتقاد ، ص ١٦٤ .

والآن لنبدأ بالحديث عن الشفاعة :

أولاً : تعريفها : سؤال الخير للغير ، وهي تكون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والعلماء العاملين والشهداء والصالحين والمؤمنين وأولاد المؤمنين والمؤمنات ممن مات صغيراً ، وتشفع بعض الأعمال فيشفع القرآن ويشفع الصيام ، والشفاعة عند الله لا تكون إلا بإذنه .

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [المدثر : ٢٨] .

ثانياً : ومن أعظم شفاعات رسول الله ﷺ شفاعته لفصل القضاء ، ثم شفاعته لعبور الصراط ، ثم شفاعته لدخول الجنة ، ومن شفاعاته عليه الصلاة والسلام شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب ، ومنها شفاعته في قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ألا يعذبوا ، ومنها الشفاعة في إخراج عصاة المؤمنين من النار ، ومنها شفاعته ﷺ لأقوام أن ترفع درجاتهم في الجنة .

ثالثاً : من الأسباب التي ينال بها العبد الشفاعة :

١ـ الدعاء عقب الأذان وسؤال الوسيلة والمقام المحمود لرسول الله ﷺ .

٢ـ الموت في أحد الحرمين .

٣ـ كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ . =

. . . . . .

= **رابعاً : أنواع شفاعاته ﷺ :**

قال الإمام العلامة ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ :

النوع الأول : شفاعته الأولى وهي العظمى الخاصة به من بين سائر إخوانه من المؤمنين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين . وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم حتى الخليل إبراهيم وموسى الكليم ، ويتوسل الناس إلى آدم فمن بعده من المرسلين ، فكل يحيد عنها ، ويقول : لست بصاحبها حتى ينتهي الأمر إلى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة محمد رسول الله ﷺ دائماً فيقول : أنا لها ، أنا لها ، فيذهب فيشفع عند الله عز وجل في أن يأتي للفصل بين عباده ، ويريحهم من مقامهم ذلك ، ويميز بين مؤمنهم وكافرهم بمجازاة المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار .

النوع الثاني والثالث : شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة ، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوا .

النوع الرابع : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها ، فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ، وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعاً آخر من الشفاعة .

النوع الخامس : في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ، ولم أر لهذا شاهداً فيما علمت ، ولم يذكر القاضي فيما رأيت مستند ذلك ، ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، والحديث مخرج في الصحيحين كما تقدم ، وهو يناسب هذا المقام ، وذكر أبو عبد الله القرطبي في التذكرة نوعاً

النوع السادس : وهو شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عذابه ، واستشهد بحديث أبي سعيد في صحيح مسلم (٢١٠) : أن رسول الله ﷺ ذكر عنده أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » ، ثم قال : فإن قيل فقد قال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] .

قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

النوع السابع : شفاعته ﷺ لجميع المؤمنين قاطبة في أن يؤذن لهم في دخول الجنة .

وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق .

مسائل ملحقة بالأصل الخامس :

وتشتمل على أهل الكبائر

الجنة والنار

أولاً : أهل الكبائر :

* وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، كما قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء : ٤٨] وإن شاء عذبهم في النار بقدر

= **النوع الثامن** : شفاعته في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث . ا .هـ عن النهاية في الفتن .

نصوص حديثية في الشفاعة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل نبي سأل سؤالاً ، ـ أو قال : ـ لكل نبي دعوة قد دعاها لأمته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » رواه البخاري (٦٣٠٤) ، ومسلم (١٩٨) ، وغيرهما .

قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم (١٩٦) (٣٣١) .

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير » قلنا : ما الثعارير ؟ قال : « الضغابيس » .

الثعارير صغار القثاء وهي الضغابيس . البخاري (٦٥٥٨) ، ومسلم (١٩١) (٣١٧) . جميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان حق .

جنايتهم ، بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته ، وذلك بأن الله مولى أهل معرفته ، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته .

ثانياً : الجنة والنار :

* والجنة والنار[1] مخلوقتان لا يفنيان ، ولا يبيدان[2] .

* وإن الله تعالى خلق الجنة والنار ، وخلق لهما أهلاً ، فمن شاء إلى الجنة أدخله فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار أدخله عدلاً منه ، وكل يعمل لما قد فرغ منه ، وصائر إلى ما خلق له .

* وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ، ويدخل النار جملة واحدة ، ولا يُزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه ، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أنهم يفعلونه ، وكل ميسر لما خلق له ، والأعمال بالخواتيم .

---

(١) الجنة أم النار ؟ إنها نهايتنا يا أُخيَّ فهل تذكرنا أم غفلنا ؟

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ [الحشر : ١٨-١٩] .

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

يقول الأستاذ أديب كلكل : « فاعمل يا أخي للجنة على قدر بقائك فيها ، واعمل للنار على قدر صبرك عليها ، واعمل للدنيا على قدر مكثك فيها ، واعبد ربك بقدر حاجتك إليه » . صور الإيمان ، ص ٣٨ .

(٢) يقول الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه أصول الدين :

« أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخيار الأمة على بقاء دوام الجنة والنار على دوام نعيم أهل الجنة ، ودوام عذاب الكفار في النار » ا .هـ ، ص ٢٣٨ .

الأصل السادس

« الإيمان بالقضاء والقدر »

* أصل القدر : سر الله تعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك ، نظراً وفكراً ووسوسةً ، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

فمن سأل : لم فعل ؟ فقد ردّ حكم كتاب الله ، ومن ردَّ حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين .

* وعلى العبد أن يعلم :

أن الله قد سبق علمه في كل شيء كائن من خلقه ، وقدّر ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مبرماً ، ليس فيه ناقض ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير ولا محول ، ولا زائد ولا ناقص من خلقه في سماواته وأرضه ، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة ، والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته ، كما قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] .

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

* وكل يجري بمشيئة الله عز وجل وعلمه وقضائه وقدره ، غلبت مشيئته المشيئات كلها ، وغلب قضاؤه الحيل كلها ، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً ، تقدس عن كل سوء وحين ، وتنزه عن كل عيب وشين ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

* والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى ، والشقي من شقي بقضاء الله تعالى .

* والخير والشر مقدَّران على العباد .

* ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم ، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه .

* فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى ، وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم علمان : علم في الخلق موجود[1] ، وعلم في الخلق مفقود[2] ،

---

(١) العلم الموجود : علم الشريعة أصولها وفروعها ، فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان من الكافرين ، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين ، ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] .

(٢) العلم المفقود : علم القدر الذي طواه الله عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه . قال سيدنا علي رضي الله عنه :

القدر بحر عميق فلا تلجه ، وطريق مظلم فلا تسلكه ، وسر الله قد خفي عليك فلا تفشه

إنما الغيب كتاب صانه ... عن عيون الخلق ربُّ العالمين
ليس يبدو منه للناس سوى ... صفحة الحاضر حيناً بعد حين=

فإنكار العلم الموجود ، وادعاء العلم المفقود كفر ، ولا يصح

= هذا ونظراً لأهمية موضوع القضاء والقدر أضفت هذا التعليق الواسع بعض الشيء لتتم الفائدة به وبكلام المصنف ـ رحمه الله ـ .

لقد ذُكرت أركانٌ خمسة من أركان الإيمان في القرآن مجتمعة إلى جانب بعضها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] ، ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] ، ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٩]

« قال الإمام النووي رحمه الله : قال الخطّابي : وقد يحسب كثير من الناس أنّ معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه ، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما سيكون من إكساب العبد وصدورها عن تقدير منه » ا . هـ شرحه على صحيح مسلم (١/ ١١٠) .

فالقدر : هو علم الله تعالى بالأزل بما تكون عليه المخلوقات كلها في المستقبل .

والقضاء : هو إيجاد الله الأشياء حسب علمه الأزلي وإرادته وبعضهم عكس التعريف .

هذا وقد تطلق كلمة القدر على النظام المحكوم الذي أقام الله عليه أمر الوجود وذلك داخل في القدر بمعناه الأشمل ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] على أحد وجهين في التفسير ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١] ، ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] .

إن عقيدة القضاء والقدر هي التحقيق لمعان متعددة تشمل :

* معرفة الله والعبودية له والاستسلام والتسليم والتوكل ، وهي تأكيد لعقيدة أهل السنة والجماعة بأن كل شيء بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وهي لا تنفي الاختيار ولا تعني الجبر .

* إن هناك مشيئة نافذة وقدراً تمضي عليه أمور العالم ، وهذا لابد منه لأن هذا العلم مظهر لأسماء الله ومظهر للتعرف على الله فاقتضت حكمة الله أن يكون الجزء الاختياري الذي تقوم به الحجة على الخلق موجوداً ومحسوساً ، ولكن بدلاً من أن يكون ذلك على طريقة القوة المودعة كما تقول المعتزلة كان=

الإيمان إلا بقبول العلم الموجود ، وترك طلب العلم المفقود .

= ذلك بالإمداد المباشر ، ومن سوء الفهم لهذه الحقيقة وقع الخلط والخبط فالمعتزلة لم يتصوروا الاختيار إلا من خلال القوة المودعة ، والجبرية رأوا واقع الحال أن كل شيء بعلم الله وإرادته فقالوا : بالجبر المحض ، وأهل السنة رأوا أن الاختيار أصلٌ فقدرة الله تعمل على وفق مشيته ، ومشيته تعمل على وفق علمه ، والعلم كاشف لا مجبر ، ولكن أبى الله أن يكون معه فاعل يستقل بخلق شيء ، ومن ههنا كان الإيمان بالقدر هو فرع الإيمان بالله ، فمن عرف الله وإرادته وقدرته آمن بالقدر ، والله يعلم الأشياء كلها أزلاً وخصص أزلاً ما أراد وجوده منها بالوجود ، وأبرزت قدرته ما أراد وسجل ذلك كله في اللوح المحفوظ ، وذلك هو القدر .

فالقضاء والقدر يتضمنان الإيمان بعلم الله وإرادته وقدرته ، كما يتضمنان الإيمان باللوح المحفوظ ؛ لأن الله أخبرنا عن ذلك .

مسائل هامة :

أولاً : يجب على العبد أن يصدق بالقدر ، وأن يستسلم لله عز وجل فيما قدره ، وأن التسليم فيما يقع يجب أن يرافقه شكر على الطاعة ، وتوبة عن المعصية .

ثانياً : أن يعتقد المسلم أنه مختار فيما يستقبل من الزمن في الأمور التكليفية ، ويتصرف على أنه مختار .

ثالثاً : أن يسلم لله حكمه في شأن القدر ، وألا تدخل عليه الوسوسة في كيفية الجمع بين الاختيار والكسب ، وبين أن كل شيء بإرادة الله وقدرته ، فالله علم ما كان وما يكون ، فأراده فأبرزه بقدرته ، وههنا حد لا يسأل عنه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، وسجل ذلك في اللوح المحفوظ ، وما جرى وما يجري الآن وما سيجري ، كل ذلك أثر علمه وإرادته وقدرته وعلى مقتضى ما سجله في اللوح المحفوظ .

رابعاً : هناك فارقٌ بين المشيئة الإلهية من جهة وبين الأمر والرضا من جهة أخرى ، فكل شيء كان ويكون بإرادته ، ولكن ليس كل شيء كان ويكون بأمره التشريعي أو رضاه ، فكفر الكافر ، ومعصية العاصي ، ليست بأمره التشريعي ولا برضاه ، لكنهما بإرادته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر : ٨] . =

فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً ، وأحضر للنظر فيه

= **خامساً** : لا يصح احتجاج الكافر والضال والفاسق بالمشيئة على الكفر والمعصية والضلال .

سادساً : الخوض بالقدر من علامة اضطراب القلب وعدم طمأنينته ، ولذلك فقد كُره البحث في القدر ؛ لأن الكلام غير الدقيق فيه قد يؤدي إلى التشويش .

سابعاً : نفت بعض الفرق الإسلامية القدر خشية أن تنسب إلى الله الظلم في فهمها ، فوقعت في ظُلمٍ أشد ؛ لأنها نفت عن الله عز وجل شمول الإرادة والقدرة والعلم .

الخلاصة

إن الإيمان بالقدر هو المظهر الأعلى لمعرفة الله ، ولمعرفة صفاته وأفعاله ، وهو الذي يناسب مقام الإنسان في العبودية ، وهو الذي يتفق وافتقار الإنسان ، وهو الذي يسبغ على الإنسان رضاً وسعادة ، وهو الذي يعطي الإنسان شجاعة وإقداماً ، والإيمان بالقدر هو مفتاح التوكل على الله ، وهذه وغيرها من إيجابيات عقيدة القدر فنحن مكلفون في آن واحد بأشياء : نحن مكلفون بالإيمان بالقدر ، ومكلفون في الوقت نفسه بالتوكل ، ومكلفون بالعمل والأخذ بالأسباب ، فالمعرفة والإيمان والتسليم هي آداب المسلم في هذا المقام .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

لقد سئل الإمام أحمد عن القدر فقال : « القدر قدرة الرحمن » .

وقال الإمام الطحاوي : « كل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد ، إلا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره » .

تأمّل قول هذين العالمين ، وتأمّل قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد سأله حكيم بن حزام فقال :

قلت : يارسول الله ، أرأيت رقاة نسترقي بها ، ودواءً نتداوى به ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : « هو من قدر الله » أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٢) والطبراني (٣٠٩٠) .

قلباً سقيماً ، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً ، وعاد بما قال فيه أفّاكاً أثيماً .

* * *

= وقوله عليه الصلاة والسلام لمن سأله : أيترك ناقته بلا عقل ويتوكل ؟ فقال : « اعقلها وتوكل » أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٣١) والحاكم (٣/ ٦٢٣) وقال الذهبي : سنده جيّد .

لتعلم أن القدر ترتبط فيه مسائل كثيرة ، فهو يجمع أسرار العقيدة الإسلامية في باب الألوهية ، ولذلك كان الإيمان بالقدر ، والقيام بالتكليف ، مع الأخذ بالأسباب ، هي من علامات التوفيق الرباني .

ـ وهكذا وبعد أن تمت أركان الإيمان الستة أحب أن أذكر بما قلته بداية : إنه مع استحضار القناعة العقلية لهذه الأصول الإيمانية لابد من تحصينها ليكون الواحد منا صاحب إيمان بنّاء صادٌّ عن كل قبيح فتثمر في ربوع حياتنا فاعلية إيجابية ترسم ملامح الإنسان الصالح .

obeikandl.com